الإصلاح التربوي والتغير الإجتماعي في الجزائر

الإشكال كما يمكن تصوره في ***الجزائر*** يطرح على مستويات اعقد، وهذا تبعا لخصوصية البلد وظروفه التاريخية والمجتمعية الآنية. فالمنظومة التربوية في الجزائر كانت وليدة ظروف سياسية وإيديولوجية ارتسمت ببصمات الاستعمار الفرنسي من جهة، وبطبيعة الأحداث الدولية المطعمة بجملة من العوامل الإيديولوجية (الحرب الباردة) والفكرية (النزعة التحررية) آنذاك، أثرت على مضامينها المتضمنة لأهدافها التنموية وغاياتها المجتمعية، في ضوء الصياغة الإستراتيجية التنموية للتغيير المنشود ذو الأبعاد الشمولية المتكاملة (الثورة الصناعية) و(الثورة الزراعية) و(الثورة الثقافية). فحسب بيير بورديو [1] إن الحالة الاقتصادية والثقافية للمجتمع (الذي خضع للاستعمار) الخاضع للاستعمار لا تسمح بوجود وعي ثوري، الذي يفترض أن يمكن من امتلاك لناس الرؤية الواضحة للمستقبل.

وفي غضون تجليات محاولات التجسيد الفعلي/أو الشبه الفعلي لأهداف المنظومة التربوية تبرز ازدواجية اللغة كإشكالية تربوية محورية، تطرح بشكل حاد وملح على مستويات اجتماعية عدة، سواء داخل المؤسسات التعليمية الرسمية أو خارجها. حيث لوحظ ازدواجية اللغة الوطنية مع اللغة الأجنبية (الفرنسية) كلغة تعامل علمي/أكاديمي وحتى تعامل يومي. "ومع استعادة الجزائر لحريتها طرحت مباشرة قضية التعريب بشكل سريع وعاجل. حيث جندت المثقفين باللغة الفرنسية لتسيير الإدارة، والمثقفين باللغة العربية لتسيير التعليم. وكان هذا الوضع المفروض بداية لمرحلة صراع حضاري، بدأ ينمو بين الثقافة القومية والثقافة الفرنسية الأجنبية..وبرز الصراع بين العربية والفرنسية بوضوح[2] بين قطب المناصرين للعربية كمتغير يعبر عن الروح الوطنية والهوية الإسلامية، وقطب المؤيدين لسياسة الاندماج الفرنسي، والتجاوب مع قيمه وخصائص مجتمعه، وأسلوب تفكيره ونمط حياته.

وبات من المؤكد أن هذا الإشكال يصعب حله نظرا لتعدد الجهات والتيارات الوطنية السياسية والتربوية المساندة لاستمراره كلغة استعمال محلي دائم. ومهما تكن المبررات المقدمة والخلفيات الإيديولوجية والسياسية الكامنة وراء تعدد هذه المواقف، فان الأهم الذي يعنينا في هذا البحث هو ما آلت إليه ازدواجية اللغة من نتائج وآثار على هوية المجتمع، وروح انتمائه لأناه الثقافي والحضاري.

---

[1] Lahouari Addi : **Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu**, le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, édition la découverte, paris, 2002, p :60